مجلة المجاهد

العدد : ١٨٧ الموافق في شوال ١٤١٧ هجري ٣ / ١٩٩٧ ميلادي

عنوان المقال : الحق أحق أن يتبع –٢–	بقلم : د. موفق الحكيم

العصبية الحزبية : إنها وأيم الله قاصمة الظهر التي لا قيام معها ، وفاقرة الفواقر التي لا داء بعدها ، وإنها من أخطر ما يواجه الحركات والجماعات الإسلامية قديماً وحديثاً ، ولا ننسى ما أدت إليه في سوالف العصور ، وعلى مر الدهور ، من افتراق المسلمين ، وتشتت جموعهم ، واختلافهم ، بل أيضاً احترابهم واقتتالهم.

وإذا حاولنا معرفة أسباب هذه العصبية الحزبية نجده غالباً في اتباع الهوى الذي يتحكم في العقول ، على مستوى القادة أوالأتباع ، وهذا السبب الأرجح ، وقد نجده أحياناً بسبب الجهل والغفلة ، على مستوى القادة أو الأتباع ، وهذا الأقل رجوحاً. ولعلي لا أبالغ أو أغالي إذا قلت : إن من أهم العوامل التي تذكي هذه العصبيات النتنة والتخربات العفنة سوء التوجيه الذي نشاهده في بعض الحركات ، وخاصة زرع بعض الأفكار والمعتقدات في أذهان أتباعها ومريديها ، والتي تجعل من هؤلاء الأتباع متشددين ومحاربين لإخوانهم في الحركات الأخرى ، وخاصة عندما يسمعون على مدار الليل والنهار أمثال هذه الشعارات : « الحركة الأم » ، « الجماعات المنشقة » ، « الخروج على الجماعة » ، « الحركات الطفيلية »... وعندما ينصتون للاتهامات والافتراءات توجه بحق وبدون حق ضد قادة بعض الجماعات الأخرى ورجالاتها ، وليس لهم ما يؤيد افتراءاتهم غير دعواهم المجردة وظنونهم النكرة !!.

وحتى لا نظلم كل القيادات والجماعات ، فإن السبب قد يكمن أحياناً في أتباعهم وجنودهم ، فقد يكون القائد أو الأمير على درجة عالية من الوعي والعلم والإخلاص والتقوى ، ولكن بعض أتباعه قد لا يكونون على مثل هذا المستوى المطلوب ، ونحن نقرأ ونسمع عن أئمة المذاهب الأربعة رضي الله عنهم أجمعين ، وكيف كان كل منهم ينظر إلى الآخر نظرة التقدير والمحبة والاحترام ، وكيف ينهل بعضهم من مناهل علم الآخرين ، وكيف يقتدي به في صلاته ، تارة إماماً ، وتارة مأموماً ، ولكننا أيضاً سمعنا وعايشنا وللأسف بعض أتباع هذه المذاهب ، وكيف كانوا يُذكون الخلافات ويُشعلون نار العداوات حيث استوغرت الصدور وسرت إليها الأحقاد ، وعشعشت الضغائن في القلوب والأكباد ، وقويت الأثرة وتحكمت في الأفراد ، وتسلطت على سيرهم وتفكيرهم ، وحتى وصلنا إلى هذا الزمان الذي رأينا فيه بأم أعيننا كيف تصلى إحدى الفرائض ثلاث مرات في بعض المساجد ، فلكل طائفة إمام ، ولكل إمام

صلاته ، كأن الصلاة لا تجوز إلا بإمام هذا المذهب !!! وهذا غيض من فيض لا يُذكر لما قد يحدث أحياناً بين أتباع بعض الجماعات من المصادمات باللسان والتي قد تنتهي وللأسف بالسنان !!.

نعم ، إن بعض الأتباع والمريدين غالوا في حبهم وأحاطوا جماعتهم وقياداتهم بهالة من التقديس والتعظيم ، وأنزلوهم منازل النبوة ، وجعلوا لهم العصمة ، وجردوهم من كل هفوة أو زلة أو كبوة ، وفي الوقت ذاته فإن هذه المحبة المفرطة والطاعة العمياء التي تعمي وتُصم جعلتهم ينظرون إلى غيرهم من الجماعات والقيادات نظرات ملؤها الازدراء والاحتقار ، فلا يرون فيهم إلا كل نقيصة ، ولا يتوسمون فيهم إلا كل معيبة. يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله في < اقتضاء الصراط المستقيم > : « كثير من المنتسبين إلى طائفة في العلم أو الدين أو إلى رئيس معظم عندهم فإنهم لا يقبلون من الدين - لا فقهاً ولا رواية - إلا ما جاءت به طائفتهم » ، ويقول الدكتور طه حسين : « وكذلك يعجز الأحياء عن أن ينصف بعضهم بعضاً لأن شهوات الرضا والسخط وعواطف الحب والبغض وأهواء التعصب والتحزب تفسد عليهم أعمالهم فتدفعهم راضين أو كارهين إلى الغلو حيناً وإلى التقصير حيناً » [مجموعة طه حسين:ج١٢/ص٤٨٢].

ومن الإطالة ولغو القول أن نحاول إثبات ما فرغ الناس من إثباته : من أن هذه العصبية الحزبية وما تؤدي إليه من ظهور النزعة الفردية والأنانية لدى بعض الجماعات والأفراد ، وما ينجم عنها من تحويل التقديس للفكرة والمبدأ إلى تقديس للشخص أو الجماعة ، ويصبح الشخص أو الجماعة هم مقياس الحق ، أضف إلى ذلك أنها تمنع التعاون المشترك بين المسلمين بجماعاتهم المختلفة ، وهذا أمر شرعي ضروري لا بد منه ، وليت الأمر يقف عند هذا الحد ، بل قد يتعداه إلى الافتراق والاحتزاب والاقتتال ، وليست أفغانستان منا ببعيد !!.

يقول الإمام ابن تيمية في < الفتاوى > : « من نصّب شخصاً كائناً من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل ، فهو من الذين { **فرقوا دينهم وكانوا شيعاً** } » ، ويقول رحمه الله : « وليس لأحد أن ينصب شخصاً يدعو إلى طريقته ويُوالي ويعادي عليها غير النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا ينصب لهم كلاماً يوالي ويعادي عليه غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة ، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرقون به بين الأمة ويوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون ». إن علاج هذا الداء ، أعني : العصبية والحزبية ، الذي استعصى على الحكماء ، والذي لم يجدِ فيه الدواء ، أن تضع الجماعات والحركات الإسلامية قادة وجنوداً ، هذه المبادئ الغالية

الثمينة نُصب أعينها ، وأن لا تفرط بواحدة منها إن كانت تخشى الله ووعيده ، وإن كانت تطلب بإخلاص نصره ووعده بالنصر والتمكين:

١- إن الشيخ أوالجماعة هم واسطة لا غاية ، والواسطة لا تحرز من الأهمية إلا بمقدار انسجامها واتفاقها مع الغاية التي هي الأصل.

٢- إن حب الجماعة أو القائد أو الأمير يجب أن لا يشغل الإنسان أو ينسيه الرابطة الحقيقية وهي رابطة الأخوة في الدين.

٣- إن الولاء الحقيقي والتبعية الحقيقية هي للإسلام ولكل المسلمين الصادقين في كل مكان.

٤- إن الأصل هو التعاون بين الجميع بدون عصبية أو حزبية ، وهو أوجب الواجبات ، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

٥- إن الأخوة هي أخوة بالإسلام نفسه ، وليست الأخوة محصورة بين أفراد حركة من الحركات أو جماعة من الجماعات فحسب ، بل تشمل المسلمين جميعاً في حدود ما يسمح به الإسلام.

(هذه النقاط ذكرتها بإيجاز نقلاً عن محاضرات وكلمات للأستاذ الحبيب عصام العطار حفظه الله).

نعم ، عندما تتحقق هذه النقاط تطبيقاً وسلوكاً فإن الحركات الإسلامية تلتقي متعارفة لا متناكرة ، مؤتلفة لا مختلفة ، ومتعاونة لا متقاطعة ، قد زالت بينها الفروق ، وألغيت بينها الحجب ، وصبغتها دعوة الإسلام بصبغة واحدة.